نحب البيئة و نحافظ عليها

(١٠)

إستنزاف
الموارد البيئية حرام

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

في رِحابِ بيتِ اللهِ

بعدَ صَلاةِ المَغْربِ مِن كُلِّ يومِ أَحَدٍ يقامُ في المَسْجدِ العُمَريِّ دَرْسٌ دِينيٌّ؛ لواحدٍ من المُدرِّسينَ في الجامعةِ.

وفي بَعْضِ الأحيانِ يَصْطَحِبُ الدكتور المدرِّسُ (ناجي) بعضَ أَصْدِقائه من الجامعة وتُعْقَدُ ندوةٌ.. ويشاركُ الحُضُورُ في ذلك.

وفي هذه الليلةِ انْطَلَقَ الأصدقاءُ (أحمد وإحسان وأمجد وأيهم وأنور) لحضورِ ذلكم الدَّرْس.

وبعد أنْ أدَّى الجميعُ صَلاةَ المَغْربِ ، تقدَّمَ الدكتورُ (ناجي) إلى الأمامِ ، ثم رَحَّبَ بالضَّيْفَيْن الكريمين: الدكتور (أنس): مدرِّس في قِسْم العُلُوم ، والدُّكتور (نوري) مُدرِّسٌ في قِسْم الزِّراعةِ.

ثم قال الدُّكتور (ناجي): في هذه الليلةِ المباركةِ سَنُشاركُ ضَيْفَيْنا في الحَديثِ عن استنزافِ الإنسانِ لما وَهَبَهُ اللهُ من مَوارِدَ طَبِيْعيةٍ.

وأُحبُّ أن أقولَ في البدايةِ:

يُقْصَدُ بالسَّرفِ: تجاوزُ الحَدِّ في كُلِّ فِعْلٍ يَفْعَلُه الإنسانُ ، قال اللهُ تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ﴾

[الفرقان: ٦٧].

لذلك ذَمَّ اللهُ تعالى هذا التَّصرُّفَ ، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

[الأنعام: ١٤١].

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

وقال أهلُ العربية: الإسرافُ ضِدُّ القَصْدِ ، ويأتي بمعنى: مُجَاوزةِ الحَدِّ ، ووَضْعِ الشَّيءِ في غيرِ مَوْضِعِهِ ، فَيُقالُ: أسرفَ في ماله ، أي: مَوْضِعِه ، وأسرفَ في الأَكْلِ ، أي: أَفْرطَ في تَنَاولِ الطَّعامِ فوقَ الاعتدالِ ومِقْدارِ الحاجةِ.

ما علاقةُ الإسْرافِ بالبيْئةِ؟!

ثم توجَّهَ (د.ناجي) إلى زَمِيلِهِ (د.نوري) وسأله: ما علاقةُ الإسرافِ بالبيئةِ؟

فأجابَ (د. نوري): يُعتبرُ الإسْرافُ سَبَباً رَئيسياً من أسبابِ تَدَهْوُرِ البيئةِ واسْتِنْزافِ مَـوارِدِهـا.. وهـو وإنْ كـان مُتَعـدِّدَ الصُّـورِ والأَساليبِ ، إلا أنَّه يُؤدِّي بشكلٍ عامٍّ إلى نتيجةٍ واحدةٍ: إهلاكِ الحَرْثِ والنَّسْلِ ، وتَدْميرِ التَّوازُنِ البيْئيّ.

وإذا قارنَّا بين مَفْهُومِ الإسْرافِ: مُجاوَزَة الحَدِّ ووَضْع الشَّيء في غَيْرِ مَوْضِعِه ، مع مَفْهُومِ التَّلوُّثِ وهو: وجودُ أيِّ مادةٍ أو طاقةٍ في غيرِ مكانِها وزَمانِها وكَمِّيَّتها المناسبةِ ؛ نرى أنَّ هناك تَقارُباً إلى حَدٍّ كبيرٍ بَيْنَهما ، بل قد يكونُ هناك تطابقٌ أيضاً.

ولذلك يجبُ دِراسةُ هذه المسألةِ بشكلٍ تَفْصِيليٍّ أكثرَ.

صورٌ من قَضِيَّةِ
اسْتِنْزافِ المَوارِدِ الطَّبِيْعيَّةِ

ثُمَّ اسْتَدارَ (د. ناجي) نحو زَمِيْلِه (د. أنس) وطلبَ منه أن يُعْطِيَ الحاضِرينَ فِكْرَةً عن بَعْضِ النَّماذجِ التي تبدو فيها مَسْألةُ اسْتِنْزافِ المَوَارِدِ بشكلٍ واضحٍ.

فكانَ جَوابُ (د. أنس) جواباً عِلْمِيّاً دَقِيقاً قال فيه:

أنا سأتحدَّثُ بحسبِ اخْتِصاصي ، وأرجو من أخي (د. ناجي) أن يُكْمِلَ عني ما له علاقةٌ بأمورِ الشَّريعةِ ، ويُبيِّنُ رأيها في ذلك.

فقال (د. ناجي): باركَ اللهُ بك ، وهذا المَنْهَجُ العلميُّ الدَّقيقُ ، نَتَعلَّمُه من القُرآنِ الكَريمِ ، حيثُ قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[الأنبياء: ٧].

وأهلُ الذِّكْرِ هنا هُم أهلُ الاخْتِصاصِ.

وراحَ (د. أنس) يتحدَّثُ بصوتٍ هادئ، ويُدلِّلُ على أَقْوالِه بالأرقامِ والإحْصائِيَّاتِ، بينما كان الكثيرونَ من الحُضُور يكتبونَ ذلك على دَفاتِرِهم، وبعضهُم الآخرُ يُسجِّلُ ذلك على أَشْرطةِ الكاسيت.. وكان ممَّا قاله:

الصُّورةُ الأولى
الإفراطُ في الطَّعامِ!

عندما لا يَضْبِطُ الإنسانُ نفسه بضَوابِط صِحِّيةٍ ودِينيةٍ، فإنه يتصرَّفُ تَصرُّفاتٍ تُسِيء إليه أولاً وإلى مالِه.. وإلى الآخَرِين أيضاً.

فالإكثارُ من الطَّعامِ يؤدِّي إلى التُّخْمةِ وعُسْرِ

الهَضْم والبَدانةِ ، إضافةً إلى أَمْراضِ القلبِ وارْتفاعِ الضَّغْط وأَمْراضِ السُّكَّري والكُلَى..

وينتجُ عن ذلك أمرٌ أَخْطَرُ ، وهو إلقاءُ المَوادِّ الغِذائيةِ في صَناديقِ القمامةِ!! أمَّا مُخَلَّفاتُ الحفلاتِ والوَلائِم وحَفَلاتِ العُرْس ونحوها ، فحدِّثْ ولا حَرَجَ عن الكميَّاتِ الكَبيرةِ من الأَطْعمةِ الفاخِرةِ التي تُلْقَى في حاوياتِ القمامةِ.. أو خارجَ المُدنِ ممَّا يُؤدِّي إلى تَعَفُّنِها وتَحَلُّلِها.. وبالتَّالي تكونُ النَّتيجةُ:

ـ تَلوُّث الهواء بنواتجِ حَرْقِ النِّفاياتِ...

ـ انْتِشار الرَّوائحِ الكَريهةِ ، وتكاثُر الدُّباب و...

ـ تَسَرُّب عُصاراتِ النِّفاياتِ إلى التُّربة والمِياهِ الجوفيَّةِ..

ـ عَدَم صلاحيةِ الأرضِ التي تُدْفَنُ فيها النِّفاياتُ للزِّراعة..

أمَّا عن رأي الشَّريعةِ الإسْلاميَّةِ في ذلك ، فَتَسْتَمِعُونَ إليه من (د. ناجي).

فقال (د. ناجي):

هناك خُطُوطٌ عَرِيضةٌ تُبيِّنُ للفردِ أن الإسْرافَ في الطَّعامِ حَرَامٌ ، من ذلك قولُ الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

وقال الرَّسولُ ﷺ: «إنَّ المؤمنَ يأكل في مِعى واحد والكافرُ يأكلُ في سبعة أمعاء» وقال أيضاً: «ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شَرّاً من بَطْنِه ، وحَسْبُ ابنِ آدمَ لُقَيمْاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَه ، فإنْ كان لا بُدَّ فاعلاً فثلثٌ لطعامِه ، وثلثٌ لشرابِه ، وثُلثٌ لنَفَسِه».

الصُّورةُ الثَّانية
الإفراطُ في اسْتِهْلاكِ المِياهِ

وقال (د. أنس):

وأما النِّعمةُ العُظْمى التي خَلَقَها اللهُ تعالى ، وجَعَلَها سببَ حياةِ كُلِّ شيء ، فهي نِعْمةُ المياه ، والإسْرافُ والتَّفريطُ فيها يؤدِّي إلى نَتائجَ وَخِيمةٍ ، فعندَ الإنسانِ تُؤدِّي إلى مَشاكلَ في عَمَلِيَّةِ هَضْم الطعامِ ، بحيثُ تُخَفِّفُ تركيزَ العُصاراتِ المعديةِ الهاضِمةِ.

وعند النَّباتِ والتُّربةِ الزِّراعيةِ تؤدِّي إلى إحْلالِ المياهِ مَحَلَّ الهواءِ المَوْجُودِ في التُّربة ، فتكونُ النتيجةُ عَجْزَ الجُذورِ النَّباتيةِ عن التَّنفّس ، وقد تُؤدِّي إلى التَّعفُّنِ والتَّملُّحِ.. ، مما يؤدِّي إلى تَقْلِيلِ القُدرةِ الإنْتاجيةِ..

وفي مجالاتِ الصِّناعةِ تُؤدِّي إلى اسْتِنْزافِ

الأوكسجين وزيادةِ نِسَبِ التَّلوُّثِ ، وبالتالي هَلاك الكائناتِ ، وخاصَّة البحريةَ منها.

ثم التفتَ (د. أنس) إلى صَدِيقه (د. ناجي) وابْتَسَمَ ، فَفَهِمَ الآخرُ أنه حانَ الآن وقتُ بيانِ رأي الشَّريعةِ في ذلك ، فقال:

وقَفَتِ الشَّريعةُ الإسْلاميةُ ضدَّ الإسْرافِ في اسْتِهْلاكِ الماءِ ، سواءً كان في أَغْراضِ الزِّراعة أو الشُّرْبِ أو الصِّناعةِ ، بل حتَّى في مجالاتِ العبادةِ!!

والتفتَ (د. ناجي) إلى الحُضُور وسألَ: فمن يَحْفَظُ حَديثاً نبوياً يدلُّ على ذلك؟

ووقفَ (أنورُ) وقال: أنا يا دكتور.

عن ابنِ عُمَر رضي اللهُ عنهما أن النَّبيَّ ﷺ مرّ بسعدِ بن أبي وقَّاص وهو يَتَوضَّأ ، فقال: «ما هذا السَّرفُ؟».

فقال: أفي الوُضوءِ إسْرافٌ؟

قال: «نعم ، وإن كنتَ على نَهرٍ جارٍ».

فقال (ناجي): أحسنتَ وباركَ اللهُ بك.

ولقد اتفقَ الفُقَهاءُ على أنَّ الإسْرافَ في استعمالِ الماء حتَّى لو كانَ في الوُضوء حَرامٌ.

والضَّابطُ لذلك هو أن يكونَ اسْتِعْمالُ الماءِ فوقَ الحاجةِ الشَّرعيَّةِ.

وقَدْ صَحَّ عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «كُلُوا واشْرَبُوا والبسُوا وتَصَدَّقُوا في غير إسْرافٍ ولا مخيلةٍ».

الصُّورةُ الثَّالثةُ

الإفراطُ في الصَّيدِ

وتابع (د. أنس): وما يقومُ به بعضُ الناسِ ، خاصَّةً الشَّباب المُراهِق ، من صَيدٍ جائرٍ للطُّيورِ

والحَيواناتِ ، يُؤدِّي إلى إبادةِ أَنْواعٍ شَتَّى من الحيواناتِ ، وبالتَّالي يُعَرِّضُ الكثيرَ من أَصْنافِها للانْقِراضِ.

وانتقلَ الحديثُ إلى (د. ناجي) ليبيِّن رأيَ الشَّريعةِ في ذلك ، فقال:

لقد اهتمَّتِ الشَّريعةُ بقضايا الحيوانِ والطَّيرِ ، واعتبرتْ أنَّ الاعْتِداءَ عليه أو قَتْله حَرامٌ ، مِصْداقُ ذلك قولُ رسولِ الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ عُصْفُوراً عَبَثاً عجَّ ـ أي رَفَعَ صَوْتَه بالشَّكْوى إلى اللهِ يومَ القِيامةِ يقولُ: يا ربِّ! إنَّ فلاناً قَتَلَنِي عَبَثاً ولم يَقْتُلْني مَنْفَعةً».

وقد نَهَى الرسولُ عن التَّحريشِ بين البهائمِ كما نَرَى اليومَ من مُصارعةِ الثِّيرانِ وصِراعِ الدّيكةِ.. وكُلُّنا يحفظُ القِصَّةَ النَّبويةَ والتي فيها أنَّ امْرأةً عابدةً حَبَستْ هِرَّةً ، فلا هي أَطْعَمَتْها

ولا هي تَرَكَتْها تأكلُ من خَشَاشِ، أي: نَباتِ الأرضِ، فماتَتْ، فَأَدْخَلَها اللهُ النَّارَ بِسَبَبِها!!

الصُّورةُ الرَّابعةُ

الإفراطُ في الرَّعي الجَائِرِ

قال (د. نوري): حِيْنَما يقومُ الإنْسانُ بالاستغلالِ الجائرِ للأراضي الزِّراعية والمَرَاعي، فإنَّ ذلك سَيُؤدِّي إلى إزالةِ العُشْبِ الأَخْضَرِ، وبالتَّالي تتحوَّلُ التُّربةُ إلى رِمالٍ.. وتكونُ النَّتيجةُ تَصَحُّرَ الأراضي.

فقال (د. ناجي): لذلك حَرَّمتِ الشَّريعةُ قَطْعَ الأَشْجارِ، وفَرَضَتْ نِظامَ المَحْمِيَّاتِ، ولجأتْ إلى قَضِيَّةِ الوَقْف ونحو ذلك، قال رسولُ الله ﷺ: «من قَطَع سدرةً ـ نوعاً من الشَّجر ـ عَبَثاً وظُلْماً صَوَّبَ اللهُ رأسَه في النَّارِ».

وخُتِمَتِ الجلسةُ المباركةُ بقولِ إمامِ المَسْجِدِ:

الشَّريعةُ الإسْلاميةُ هي الشَّريعةُ الوَسَطُ ، فهي في كُلِّ مَجالاتها اعْتِدالٌ ووَسَطِيَّةٌ ، فلا يَجُوزُ اسْتِنْزافُ المَوارِدِ التي وَهَبَنا اللهُ إياها ، ولا يَجُوزُ الإسْرافُ والإفْراطُ أبداً ، ولا يَجُوزُ التَّقْصِيرُ في اسْتِغْلالها...

والحَمْدُ للهِ ربِّ العالَمين